

{ تَبَّتْ يَدَا أَبِي هَبٍ وَتَبَّ } * { مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ } * { سَيَصْلَىٰ }
نَارًا ذَاتَ هَبٍ } * { وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ } * { فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ } (5-1)

وتقدم الكلام على التباب في سورة غافر، وهنا قال ابن عباس: خابت، وقتادة:
خسرت، وابن جبير: هلكت، وعطاء: ضلت، ويمان بن رباب: صفرت من كل خير،
وهذه الأقوال متقلبة في المعنى. وقالوا فيما حكى إشباه: أم تابة: أي هالكة من الهرم
والتعجيز. وإسناد الهلاك إلى اليمين، لأن العمل أكثر ما يكون بهما، وهو في الحقيقة
للنفس، كقوله:

{ ذلك بما قدمت يداك }

وقيل: أخذ بيديه حجراً ليرمي به الرسول صلى الله عليه وسلم، فأسند التب إليهما.
والظاهر أن التب دعاء، وتب: إخبار بحصول ذلك، كما قال الشاعر:

جزاني جزاه الله شرّ جزائه جزاء الكلاب العاويات وقد فعل

ويدل عليه قراءة عبد الله: وقد تب. روي أنه لما نزل:

{ وأنذر عشيرتک الأقربين }

قال: " يا صفية بنت عبد المطلب، يا فاطمة بنت محمد، لا أغني لكما من الله
شيئاً، سلايني من مالي ما شئتما " ثم صعد الصفا، فنادى بطون قريش: " يا بني فلان
يا بني فلان " وروي أنه صاح بأعلى صوته: " «يا صباحاه». فاجتمعوا إليه من كل
وجه، فقال لهم: «أرايتم لو قلت لكم إني أنلوكم خيلاً بسفح هذا الجبل، أكنتم

مصدقني؟» قالوا: نعم، قال: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد». فقال أبو لهب: تباً لك سائر اليوم، ألهذا جمعنا؟ فافترقوا عنه، ونزلت هذه السورة " وأبو لهب اسمه عبد العزى، ابن عم المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقرأ ابن محيصن وابن كثير: أبي لهب بسكون الهاء، وفتحها باقي السبعة ولم يختلفوا في ذات لهب، لأنها فاصلة، والسكون يزيلها على حسن الفاصلة. قال الزمخشري: وهو من تغيير الأعلام، كقولهم: شمس مالك بالضم. انتهى، يعني: سكون الهاء في لهب وضم الشين في شمس، ويعني في قول الشاعر:

**وإني لمهد من ثنائي به لابن عمي الصدق شمس بن
فقاصد مالك**

فأما في لهب، فالمشهور في كنيته فتح الهاء، وأما شمس بن مالك، فلا يتعين أن يكون من تغيير الأعلام، بل يمكن أن يكون مسمى بشمس المنقول من شمس الجمع، كما جاء أذنان خيل شمس. قيل: وكني بأبي لهب لحسنه وإشراق وجهه، ولم يذكره تعالى باسمه لأن اسمه عبد العزى، فعدل عنه إلى الكنية، أو لأن الكنية كانت أغلب عليه من الاسم؛ أو لأن ماله إلى النار، فوافقت حالته كنيته، كما يقال للشيرير: أبو الشر، وللخير أبو الخير؛ أو لأن الاسم أشرف من الكنية، فعدل إلى الأنقص؛ ولذلك ذكر الله تعالى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بأسمائهم ولم يكن أحداً منهم.

والظاهر أن ما في { ما أغنى عنه ماله } نفي، أي لم يغن عنه ماله الموروث عن آبائه، وما كسب هو بنفسه أو ماشيته، وما كسب من نسلها ومنافعها، أو ما كسب من أرباح ماله الذي يتجر به.

ويجوز أن تكون ما استفهاماً في موضع نصب، أي: أي شيء يغني عنه ماله على وجه التقرير والإنكار؟ والمعنى: أين الغني الذي لماله ولكسبه؟ والظاهر أن ما في قوله: { وما كسب } موصولة، وأجيز أن تكون مصدرية. وإذا كانت ما في { ما أغنى } استفهاماً، فيجوز أن تكون ما في { وما كسب } استفهاماً أيضاً، أي: وأي شيء كسب؟ أي لم يكسب شيئاً. وعن ابن عباس: { وما كسب } ولده.

وفي الحديث: " **ولد الرجل من كسبه** " وعن الضحاك: { وما كسب } هو عمله الخبيث في عداوة الرسول صلى الله عليه وسلم. وعن قتادة: وعمله الذي ظن أنه منه على شيء. وروي عنه أنه كان يقول: إن كان ما يقول ابن أخي حقاً، فأنا أفتدي منه نفسي بمالي وولدي. وقرأ عبد الله: وما اكتسب بناء الافتعال. وقرأ أبو حيوة وابن مقسم وعباس في اختياره، وهو أيضاً سيصلى بضم الياء وفتح الصاد وشد اللام، ومرثته؛ وعنه أيضاً: ومرثته على التصغير فيهما بالهمز وبإبدالها ياء وإدغام ياء التصغير فيها. وقرأ أيضاً: حمالة للحطب، بالتثنية في حمالة، وبلاد الجر في الحطب. وقرأ الحسن وابن أبي إسحاق: سيصلى بضم الياء وسكون الصاد؛ وأبو قلابة: حمالة الحطب على وزن فاعلة مضافاً، واختلس حركة الهاء في وامرأته أبو عمرو في رواية؛ والحسن وزيد بن علي والأعرج وأبو حيوة وابن أبي عبله وابن محيصن وعاصم: حمالة بالنصب.

وقرأ الجمهور: { سيصلى } بفتح الياء وسكون الصاد، { وامرأته } على التكبير، { حمالة } على وزن فعالة للمبالغة مضافاً إلى الحطب مرفوعاً، والسين للاستقبال وإن تراخى الزمان، وهو وعيد كائن إنجازه لا محالة. وارتفع { وامرأته } عطفاً على الضمير

المستكن في { سيصلى } ، وحسنه وجود الفصل بالمفعول وصفته، { وحمالة } في قراءة الجمهور خبر مبتدأ محذوف، أو صفة لامرأته، لأنه مثال ماض فيعرف بالإضافة، وفعال أحد الأمثلة الستة وحكمها كاسم الفاعل. وفي قراءة النصب، انتصب على الذم. وأجازوا في قراءة الرفع أن يكون { وامرأته } مبتدأ، وحمالة، واسمها أم جميل بنت حرب أخت أبي سفيان، وكانت عوراء. والظاهر أنها كانت تحمل الحطب، أي ما فيه شوك، لتؤذي بإلقائه في طريق الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه لتعقرهم، فذمت بذلك وسميت حمالة الحطب، قاله ابن عباس. فحمالة معرفة، فإن كان صار لقباً لها جاز فيه حالة الرفع أن يكون عطف بيان، وأن يكون بدلاً. قيل: وكانت تحمل حزمة من الشوك والحسك والسعدان فتنشرها بالليل في طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقال ابن عباس أيضاً ومجاهد وقتادة والسدي: كانت تمشي بالنميمة، ويقال للمشاء بها: يحمل الحطب بين الناس، أي يوقد بينهم النائرة ويورث الشر.

قال الشاعر:

من البيض لم يصطد على ظهر
ولم تمش بين الحي بالحطب الرطب
لامه

جعله رطباً ليدل على التدخين الذي هو زيادة في الشر. وقال الراجز:

إن بني الأرزم حملوا الحطب هم الوشاة في الرضا وفي الغضب

وقال ابن جبير: حمالة الخطايا والذنوب، من قولهم: يحطب على ظهره. قال تعالى:

{ وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم } . وقيل: الحطب جمع حاطب، كحارس

وحرس، أي يحمل الجناة على الجنايات، والظاهر أن الحبل من مسد. وقال عروة بن

الزبير ومجاهد وسفيان: استعارة، والمراد سلسلة من حديد في جهنم. وقال قتادة: قلادة من ودع. وقال ابن المسيب: قلادة فاخرة من جوهر، فقالت: واللوات والعزى لأنفقنها على عداوة محمد. قال ابن عطية: وإنما عبر عن قلادتها بحبل من مسد على جهة التفاؤل لها، وذكر تبرجها في هذا السعي الخبيث، انتهى. وقال الحسن: إنما كانت خرزاً. وقال الزمخشري: والمعنى في جيدها حبل مما مسد من الحبال، وأنها تحمل الحزمة من الشوك وتربطها في جيدها، كما يفعل الخطابون تحسيساً لحالها وتحقيراً لها بصورة بعض الخطابات من المواهن لتمتعض من ذلك ويمتعض بعلمها وهما في بيت العز والشرف وفي منصب الثروة والجدة. ولقد عبر بعض الناس الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب بحمالة الحطب، فقال:

ماذا أردت إلى شتمي ومنقصتي أم ما تعير من حمالة الحطب

كانت سليلة شيخ ثاقب

غرساء شاذخة في المجد سامية

الحسب

ويحتمل أن يكون المعنى: إن حالها يكون في نار جهنم على الصورة التي كانت عليها حين كانت تحمل حزمة الشوك، فلا يزال على ظهرها حزمة من حطب النار من شجر الزقوم أو الضريع، وفي جيدها حبل مما مسد من سلاسل النار، كما يعذب كل مجرم بما يجانس حاله في جرمه، انتهى.

ولما سمعت أم جميل هذه السورة أتت أبا بكر، وهو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد ويبيدها فهر، فقالت: بلغني أن صاحبك هجاني، ولأفعلنّ وأفعلنّ؛ وأعمى الله تعالى بصرها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. فروي أن أبا بكر، رضي الله تعالى

عنه، قال لها: هل تري معي أحداً؟ فقالت: أتهزأ بي؟ لا أرى غيرك. وإن كان شاعراً
فأنا مثله أقول:

مذمماً أبينا ودينه قلينا
وأمره عينا

فسكت أبو بكر ومضت هي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " **لقد حجتني
عنها ملائكة فما رأني وكفى الله شرها** " وذكر أنها ماتت مخنوقة بجبلها، وأبو لهب
رماه الله تعالى بالعدسة بعد وقعة بدر بسبع ليال.